بدي هي التي أوقدت هذه النار الجنائزية ،
حتى تلتهم السنتها عظمة وذنوب أمة فاسدة ـــ
تتحول الى خراب أبد الدهر ـــ ينعق اليوم فوق قلاعها في الليل .

وفي جزء آخر من القصيدة يصف باروخ مشاعره اثناء التهام السنة النار للمدينة :

وفي أثناء الضوضاء والفوضى جريت في شوارع المدينة ،
لارى أعدائي بأرواحهم المحطمة ولاشهد هزيمتهم ،
ولاراقب الدموع تسيل من عيون الاب حينما يسمع
صوت ابنه يئن وهو يحترق في الفرن ، وأشعر بالشماتة .
لقد ضحكت وضحكت في شوارع المدينة على الامهات الباكيات .

وباروخ لا يقوم بفعله هذا كنتيجة لاستجابة عاطفية مباشرة لموقفه ، او بناء على تدبر عقلاني ، بل اننا نكتشف انه مثل شمشون ، لا يتصرف الا بناء على وحي رباني (أو وحي قبلي بمعنى أصح) :

تتملكني روح عملاقة تستيقظ في صدري
تهمس ، وتتحدث ، وتنصح ، ممسكة بأوتار قلبي .
تخبرني ماذا ينبغي ان أفعل ، تشعل داخلي شرارة ،
ولكنها تهمس لي برفق . الان يحل السكون والظلمة ،
وتخيم سحابة رمادية ، سيدة الظلام .

وبحلول الظلام يحاول البطل أن يعرف ماذا يطلب منه هذا الصوت الرباني ، وفي نهاية الامر يعرف ان عليه أن يفعل شيئا ولكنه لا يعرف طبيعته على وجه التحديد . وسريعا ما تنقشع الغيمة ، وينبعث صوت الرب مثل هدير الانهار مرتفعا ، يغطي على صوت الدنيا ، الى ان يرى باروخ :

فوق صورة قديس شمعة وحيدة تشير الي ، واقفة برتعش لهيبها .
وهكذا احضرها ربي الى يدي مثل نور الخلاص .
وبغتة أضاءت حجرات روحي المظلمة .

ويبدأ الحريق وتبدأ السنة النيران في التهام كل شيء ، ولكنها نيران ولا شك ربانية :

آلاف الالسنة الصغيرة والشرارات تمطر فوق كل شيء ،
كما لو كان نور الله قد تساقط متناثرا من السماء نفسها فوق الارض .

ومن الغريب ان الشاعر يربط بين نور الخلاص ونور الله من جهة ، والنار المهلكة الحارقة من جهة اخرى ، ولكن الاله القبلي لا يكترث الا بأبناء قبيلته . والشاعر في القصيدة نفسها ، عن وعي او عن غير وعي ، يصف النار وصفا اقرب الى الصدق من وصفه اياها في الابيات السابقة :

ان النار مثل آلاف الالسنة العملاقة جاءت تلعق الحوائط .

وهو بهذا يربط بين النار والاشياء الكريهة داخله ، ثم يضيف قائلا :

ارتفعت ألسنة النار واحرقت ، ولعقت السقف .
مثل الثعابين الصغيرة التي تلتف في صمت وتضحك في خبث .

ان نار باروخ أبعد ما تكون عن الطهر والبراءة ، واستخدام الشاعر لصورة الثعبان ، وهي صورة الشيطان التقليدية ، ليدل أكبر دلالة على انها ليست بنار ربانية ، أو ان باروخ من عبدة اله من نوع خاص لا تدخل الرحمة او الشفقة على قلبه ، ولعل هذا يفسر لماذا تعصف نيران هذا الاله بكل مظاهر البراءة في القصيدة ، فهي تحرق بيت